(دراسة للعصر الحجري الحديث في شمال غرب المملكة العربية السعودية موقع العيينة الأثرية أنموذجاً)

أ.خالد بن فايز الأسمري*

تعد الأدوات الحجرية الشاهد الأكثر أهمية لدراسة العصور الحجرية وذلك لكثرتها واعتماد الإنسان عليها، ولم تقتصر صناعة الأدوات في تلك العصور على الحجر، بل إن العظم والخشب والأصداف .... الخ استخدمت في تشكيل بعض الأدوات، كما تدل البقايا الأثرية، ولكن أكثرها تحلل أو اختفت أجزاء كبيرة من معالمها، بينما بقي الحجر يقاوم عوامل الزمن، كما أن الحجر مادة تصلح لأغراض كثيرة وتقبل التشكل في أشكال كثيرة؛ هذا فضلاً عن صلابتها ومتانتها، حيث أصبحت مادة الحجر الأكثر مناسبة لصناعة الأدوات.

ولذلك فإن تقسيم العصور الحجرية إلى مراحل ارتبط في المقام الأول بنوعية الأدوات الحجرية وطرق تصنيعها والتقنية المستخدمة، إضافة إلى بعض المظاهر الحضارية الأخرى المميزة لكل مرحلة.

تقع المملكة العربية السعودية في شبه الجزيرة العربية بالركن الجنوبي الغربي من قارة آسيا ، إذ تقع أراضيها بين دائرتي عرض ٤٦ ً٢٢ َ١٦ و ٠٠ ً١٤ َ٣٢ شمالا تقريباً، وخطي طول ٣٠ ً٢٩ َ٣٤ و ٠٠ ً٤٠ َ٥٥ شرقاً تقريباً[١]. وتحيط بها المياه من جهات ثلاث هي: البحر الأحمر من الغرب والخليج العربي وخليج عُمَان من الشرق وبحر العرب من الجنوب. وتنقسم إلى إقليمين جيولوجيين يحمل كل إقليم تشكيلاً مخالفاً عن الآخر، أولهما في الجزء الغربي وهو ما يعرف بالدرع العربي، وهو الممتد من خليج العقبة شمالاً حتى حدود اليمن جنوباً حيث تبرز سلسلة جبلية تحوي تكوينات نارية ومتحولة وصخوراً من العصر الكمبري وما قبله من جرانيت وديورايت، ويفصلها عن البحر الأحمر امتداد ساحلي ضيق"سهل تهامة" ويتسع كلما اتجهنا شمالاً. أما الجزء الشرقي فهو الرف العربي وهو الممتد من النفود غرباً إلى الخليج العربي

* المملكه العربيه السعوديه

[١] السماري ، فهد وآخرون ٢٠٠٣م،موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربيـــة الـــسعودية،الجزء الأول، الطبعة الأولى، دارة الملك عبدالعزيز وهيئة المساحة الجيولوجية السعودية،الرياض، ص٤٣.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

شرقاً ومن الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية حتى حضرموت جنوباً، ويحوي تركيبات رسوبية متفتتة من الحجر الجيري والرملي[٢].

يقع موقع العيينة الأثري في منـــطقة تبوك على (خط طول ٢٤ ً ٠٤ َ ٣٦ ° شرقا) و(دائرة عرض ٤٠ ً ٥٣ َ ٢٨ ° شمالاً) والمسجل برقم (٢٠٠-١٠٤) لدى الهيئة العامة للسياحة والآثار بالمملكة العربية السعودية.

والموقع عبارة عن تل أثري يبلغ ارتفاعه حوالي خمسة أمتار عن سطح الأرض المحيطة، وأبعاده من الشمال إلى الجنوب ١٦٠م، ومن الشرق إلى الغرب ١٢٠م، ويقع التل في الجهة الشمالية الغربية من سور الموقع (الخارطة ١)، حيث تتراكم في أعلاه أحجار متوسطة الحجم بعضها مصفوف ومنتظم والبعض الآخر يبدو أنها متساقطة، وبالنسبة للأحجار المنتظمة الصفوف فهي تشكل منشآت مختلفة الأحجام والأشكال تنتشر على كامل التل وسفحه، منها ما هو كبير الحجم ومتوسطه، وتأخذ أشكال دوائر أو مربعات أو مستطيلات، والبعض الآخر يأخذ شكلاً غير منتظم،(اللوحات ١ - ٣)

إضافة إلى ذلك يوجد مذيل في الجهة الشرقية من التل وهو عبارة عن رأس ركامي من الحجر بيضاوي الشكل ويمتد ذيله من الرأس باتجاه التل الواقع غربه. (لوحة ٤).

إن البقايا المعمارية الموجودة به من ناحية التشييد أو من ناحية العناصر الإنشائية بنيت الجدران بتخطيط جيد يعكس مهارة فنية، حيث كان التعشيق بين الحجارة في المدماك الواحد يظهر في كل أجزاء الجدران ولم تستخدم أي مونة للبناء بين الحجارة وقد اكتفى بوضع كسر من الحجر الصغير تحت الحجارة الكبيرة التي يتشكل منها الجدار وذلك لتثبيتها. أما المباني بصورة عامة فكانت أساساتها مبنية بحجارة كبيرة الحجم ومنتظمة البناء ومترابطة الصفوف ويعلوها مداميك البناء بحجر أصغر نسبياً ومشذبة الوجه ومرتكزة بشكل مستقر وأحيانا تتداخل الحجارة في المدماك الواحد والمدماك الذي يعلوه.

أما المدماك الواحد فكان من صفين من الحجارة وبين الفراغات الوسطية كسر من الحجارة الصغيرة، ويبلغ سمك الجدران بين ٣٠-٥٠سم في صفين من الحجر، أما الجدران التي بنيت بشكل صف واحد فكان سمكها يتراوح بين ٣٠-٤٠سم، أما ارتفاع الجدران فكان يصل إلى ٣م ولا يوجد أثر للسقوف وهذا يدل على أن جدران الغرف كانت أعلى من ذلك فوق الأرضية الصخرية (أرض التأسيس).

[٢] أبو العلا، محمد ١٩٩٥م، جغرافية شبة جزيرة العرب، الجزء الثاني، مكتبة الأنجلـــو المـــصرية، القاهرة، ص ص ٢٣-٢٤.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

ويلاحظ أن صف الجدران السفلية كانت مشيدة بحجر كبير جدا وغير مشذب للغرف بصورة عامة وهناك جدران داخل الغرف بنيت بسمك أقل وبصفين من الحجر أيضاً.

أما جدران المرحلة العلوية فكانت مبنية بحجر مشذب في وجه واحد وحجم متوسط وصغير.أما أرضيات المباني السفلية فكانت أرضية التل وهي صخرية"الأرض البكر"،أما المرحلة الثانية فإن أرضيات مبانيها كانت تعلو الأرضية السفلى بحوالي٩٠سم حيث كانت أرضيتها عبارة عن تربة مدكوكة ولم يظهر أثر لرصفها.(مخطط ١-٢)

وبالنسبة لأدوات موقع العيينة فيلاحظ من النظرة الأولى لما تم العثور عليه أن التقنية المستخدمة هي تقنية نصلية تمكن الصناع من اختيار بعض النصال الرفيعة المشطور مسبقاً ليتم تشذيبها؛ لتصبح أدوات مختلفة ومميزة في المجموعة، ويلاحظ أيضاً صغر حجم الأدوات إلا فيما ندر. كذلك توجد نسبة مقدرة من الأدوات المشذبة على الشظايا مختلفة الأشكال والأحجام ، ومن الأدوات المهمة أيضاً المجارش اليدوية المستخدمة في السحن أو الجرش والمدقات والأحجار المستديرة، وقد اختلطت هذه الأدوات بكسر عظمية مختلفة وفحم ومخلفات عضوية أخرى. ومن الملفت انعدام وجود الفخار بشكل كلي، مما يرجح أن الموقع يعود إلى فترة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (لوحة ٥-٦).

لقد جرت العادة في تأريخ مواقع ما قبل التاريخ في المملكة بالاعتماد على مقارنة أنواع الأدوات الحجرية ؛ و التقنية المستخدمة في تشكيلها؛ أما بالنسبة لموقع العيينة فقد كان من حسن الطالع أن أتمكن من جمع مادة من كسر الفحم والرماد في بقع مختارة وعلى أعماق مختلفة وهي مواد تعد من الأفضل لطريقة التحليل بكربون ١٤ (C14). وقد أمكن الحصول على تاريخيين أجراها مختبر "بيتا بمدينة ميامي بولاية فلوريدا الأمريكية"، والتواريخ تبدو ذات أهمية خاصة؛ لأنها تؤرخ لأقدم منشأة معمارية مخططة يتم اكتشافها في المملكة العربية السعودية، وربما الجزيرة العربية.

العينة الأولى رقم : (Beta 230059): عبارة عن كسر من الفحم والرماد جمعت من بقعة يكثر فيها الرماد على عمق ٨٥-١٠٠سم من المجس (ع م ١-أ)، والمادة الأثرية في هذا المكان تتكون من أدوات مشذبة ونصال كاملة و مكسورة وشظايا ورؤوس سهام ونوى كاملة، إضافة إلى كسر العظام، كما تبعد العينة عن جدار المنشأة بمسافة ٤٠سم. وكانت نتيجتها:

٦٧٨٠ إلى ٦٥٨٠ ق.م. تاريخ معاير (Calibrated)بنسبة احتمالية ٩٥%

(٨٧٣٠-٨٥٣٠ قبل الحاضر).

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

العينة الثانية رقم (Beta230057): عبارة عن كسر من الفحم والرماد على عمق ٢٨٠سم من المجس(ع٢). تم جمعها من موقد نار وهي على الأرضية التي يقوم عليها الجدار المستقيم من المنشأة. وهكذا فإن التاريخ المتحصل يؤرخ بدون شك جدار المنشأة المشار إليه ومن المهم الإشارة هنا إلى استقامة جدران المنشأة وهو أمر في غاية الأهمية الحضارية. وتكمن هذه الأهمية في أن بناء الجدران المستقيمة حدث في العيينة من ناحية التطور المعماري في تاريخ مبكر، وقد كانت تفاصيل التاريخ كالتالي:

٧٠٥٠ إلى ٦٦٦٠ ق.م. تاريخ معاير (Calibrated)بنسبة احتمالية ٩٥%

(٩٠٠٠-٨٦١٠ قبل الحاضر).

وهكذا فإن التأريخ المذكور يؤرخ بثقة عالية الطبقة السفلى من المجس المذكور حيث الحفرة التي جمعت منها العينة ملاصقة للجدار المستقيم. ومن الجدير بالذكر أنه لا يوجد قلب أو تحريك للتربة القريبة من موقد النار المذكور، ومما يزيد ثقتنا في هذا التأريخ أيضاً هو المدى القصير الذي يمكن أن يتدرج فيه التاريخ صعوداً أو نزولاً وهو ±٥٠ سنة فقط وهكذا فإن تأريخ المنشأة يعود إلى مطلع الألف الثامن ق.م أو نهاية الألف السابع ق.م على أقل تقدير. لذلك فان التاريخين السابقين يحيلان تاريخ موقع العينة قريباً جداً من مطلع الألف الثامن قبل الميلاد (٧٠٥٠ ق.م) أو إلى الفترة الواقعة بين (٦٨٢٠ و ٦٦٥٠ ق.م) على أقل تقدير.

وختاماً لا بد من الإشارة إلى أن موقع العيينة وبالرغم من أهمية المكتشفات الأثرية فيه ليس هو الوحيد في المنطقة، بل هناك العشرات من مثيلاته, والأمل معقود على أن تستمر الأبحاث الميدانية في هذا الاتجاه لإيجاد فرص أكبر للحصول على معلومات ضرورية تخص موضوعات مهمة مثل: الاقتصاد المعيشي والأحوال البيئية واعتماد إنتاج القوت. كذلك فإن المنشآت المعمارية في العيينة تمثل مرحلة متقدمة في البناء خلال هذه الفترة المبكرة من العصر الحجري الحديث.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

الملاحق

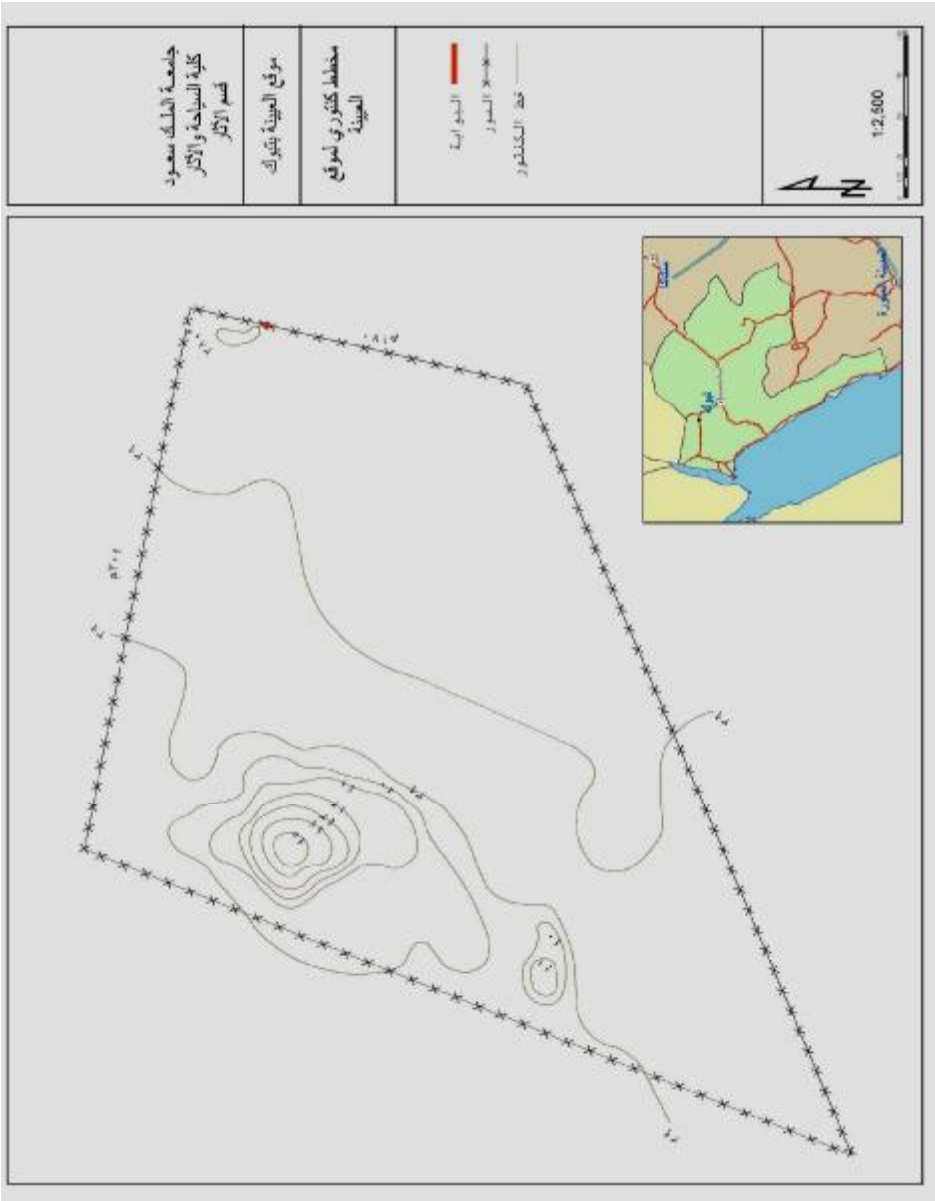

الخارطه ١: خارطه كرتونيه لموقع العيينة

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

لوحه ١: منظر عام لموقع العيينة

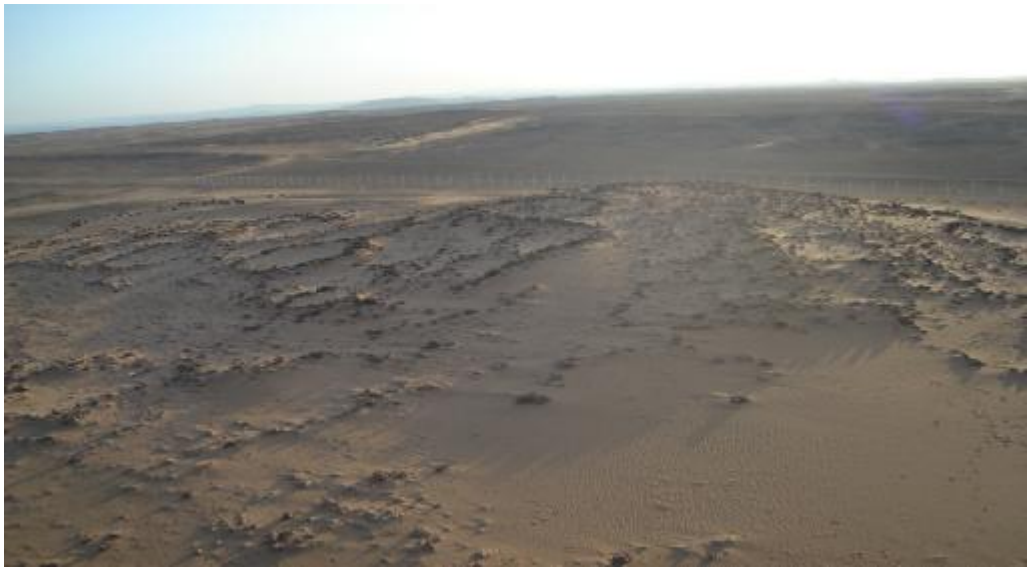

لوحه ٢: منظر عام لموقع العيينة

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

لوحه ٣: منظرعام لموقع العيينة

لوحه ٤: منظرعام للمذيل

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

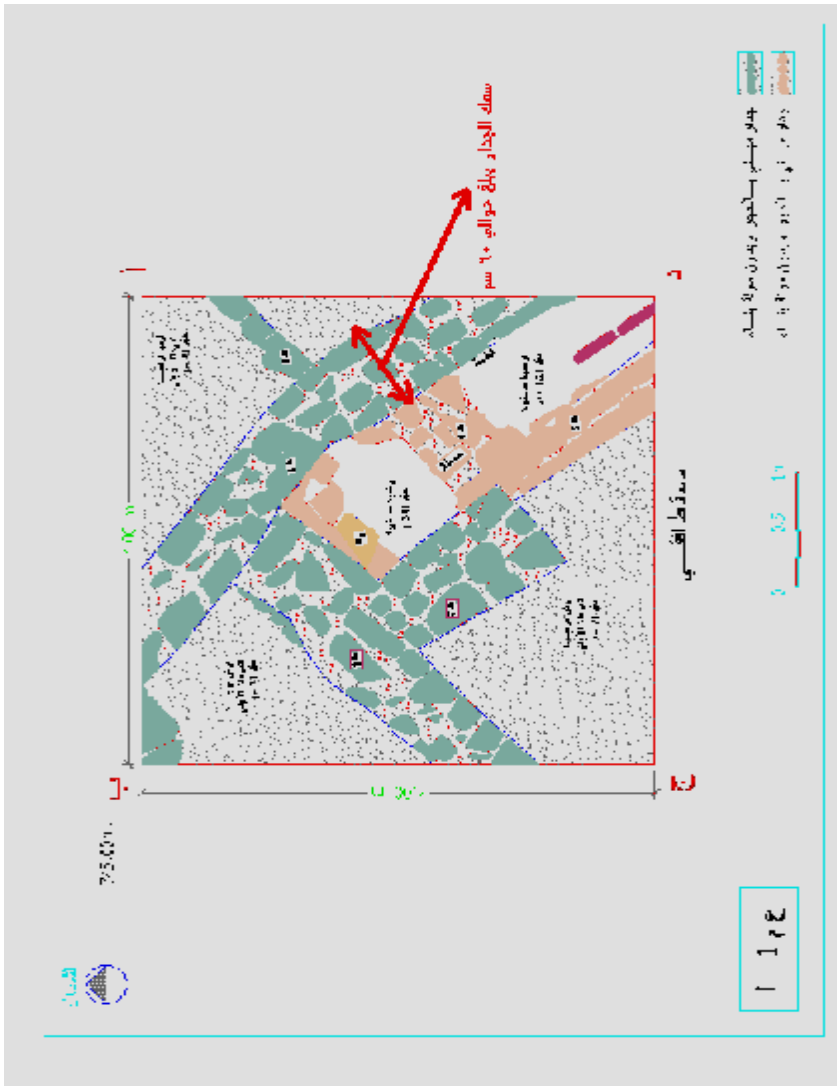

مخطط ١: مخطط يبين سمك جدار احد المنشآت

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

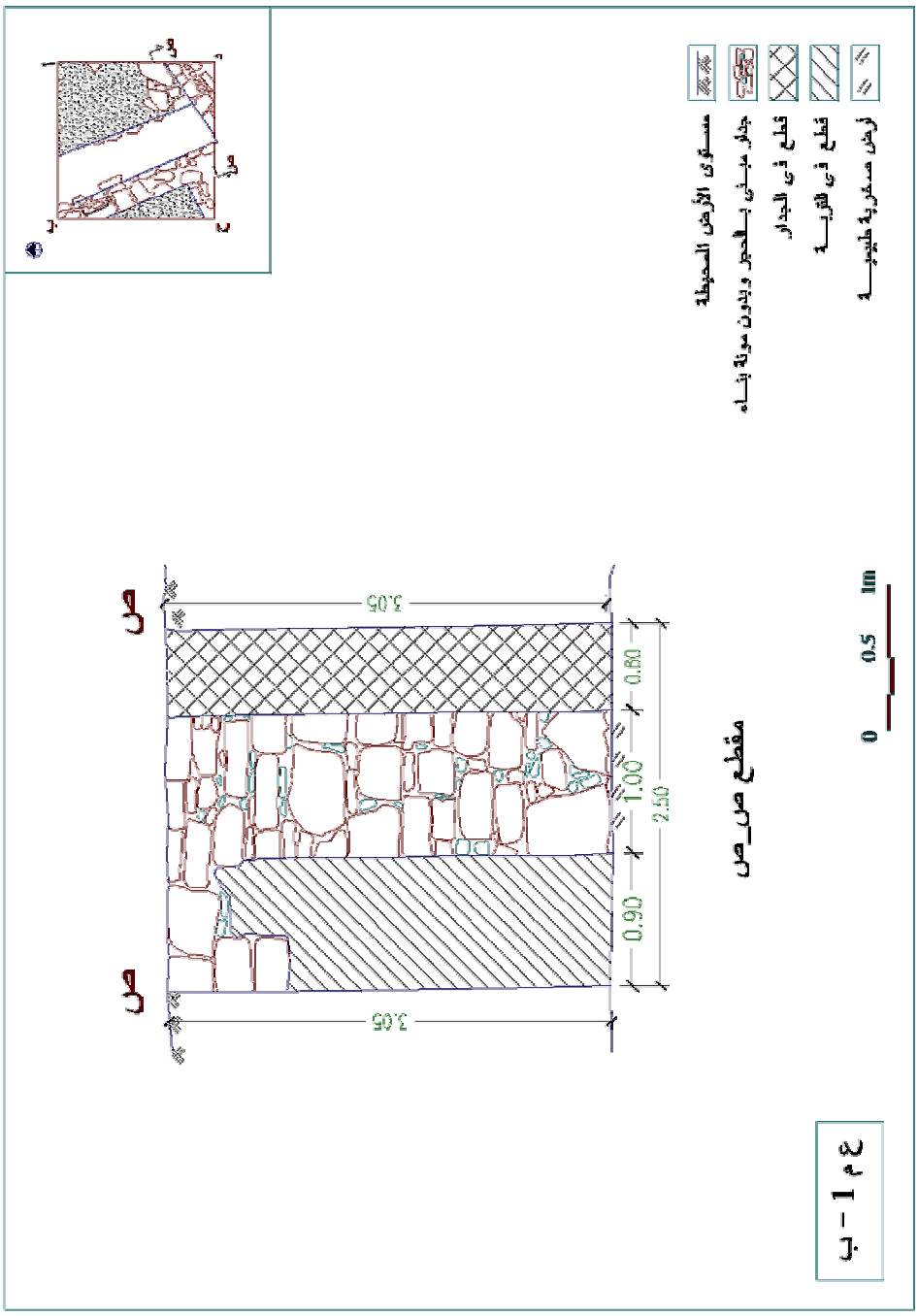

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

لوحة ٥: أدوات حجرية عبارة عن رؤوس سهام

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

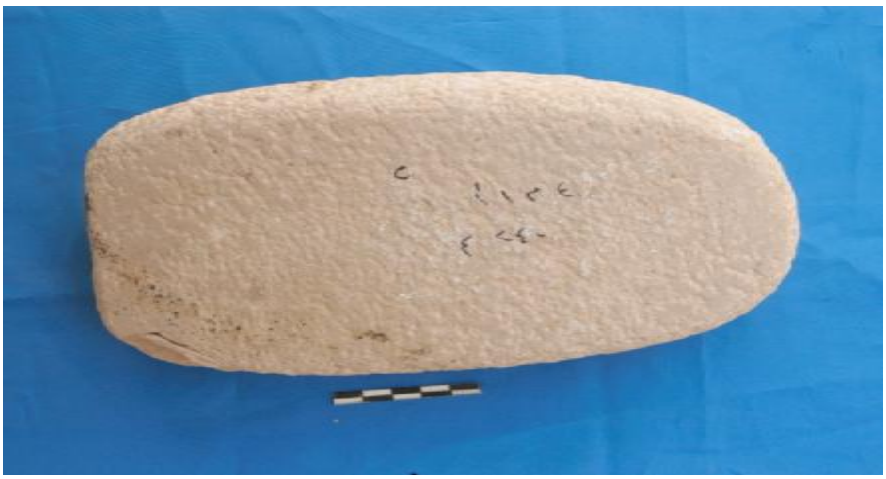

لوحة ٦: أداة حجرية عبارة عن مجرشة يدوية

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

المراجع

الأسمري، خالد بن فايز ٢٠٠٩م:

موقع العيينة الأثري: دراسة للعصر الحجري الحديث في شمال غـرب المملكـة العربية السعودية، رسالة ماجستير ، الطبعة الأولى.

السماري ، فهد وآخرون ٢٠٠٣م:

موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية ،الجزء الأول ، الطبعـة الأولى ، دارة الملك عبدالعزيز وهيئة المساحة الجيولوجية السعودية ،الرياض.

أبو العلا، محمد ١٩٩٥م:

جغرافية شبة جزيرة العرب، الجزء الثاني، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.